مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ١٨٥-٢٣٦، (محرم ١٤٤٢ هـ/ أغسطس ٢٠٢٠)

الاغتراب في شعر طاهر زمخشري
ديوانا (عودة الغريب)و(ألحان مغترب) نموذجًا

د. منى بنت صالح الرشادة
أستاذة الأدب والنقد المشارك-
جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

أ.د. ثناء عياش
أستاذة البلاغة بالجامعة الهاشمية

ملخص البحث: يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل ظاهرة الاغتراب، كما تجلت في ديواني (عودة الغريب) و(ألحان مغترب) للشاعر السعودي طاهر زمخشري الذي شهدت حياته أحداثا تضافرت معا، وأدت فيما بعد إلى اغترابه المكاني ثم الزماني والنفسي.
وسيحاول هذا البحث بيان أثر انعكاس هذه الأحاسيس والمشاعر في ديواني الشاعر (عودة الغريب) و (ألحان مغترب) محاولا الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما الأسباب التي تؤدي إلى اغتراب المغترب؟ وما البدائل التي يلجأ إليها المغترب؛ لإعادة التوازن في حياته، بعد أن يسيطر عليه الإحساس باليأس من تحسن الأحوال؟ وكيف يمكن للشعر أن يكون ملاذا للمغترب؟ وسبب اختيار هذين الديوانين يعود لتضمن عنوانيهما لفظتي الغربة والاغتراب معا، مما يعني بروز هذه الظاهرة فيهما بكل جلاء، كما أن مقدمة ديوانه " عودة الغريب" تضمنت حديثا عن بعض الأسباب التي أدت إلى اغترابه، كما سيتضح في هذا البحث.
ولتحقيق أهداف البحث اُعتمدت النصوص الشعرية مباشرة، والقراءة الفاحصة لها؛ لاستخلاص دواعي اغتراب الشاعر، وبيان مظاهر اغترابه، باعتماد المنهج الوصفي التحليلي؛ لتوصيف ظاهرة الاغتراب كما ظهرت في الديوانين، وتحليل النماذج التطبيقية الدالة على كل مظهر من مظاهر اغترابه، وتمثلت مظاهر اغتراب الشاعر في: هروبه إلى الماضي والمنى تارة، والخيال والغاب تارة أخرى؛ أملا في أن تعوضه عما يفتقده في حاضره من بهجة وأمل.
الكلمات المفتاحية: *التعويض النفسي، شعر، طاهر زمخشري، الطيف، غربة.*

المقدمة:

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير الأنام، محمد بن عبد الله، وعلى آل بيته الكرام، وصحابته النجباء أجمعين، أما بعد:

فالاغتراب ظاهرة إنسانية عامة، وشكل من أشكال اضطراب الذات الشاعرة[(١)]، توجد في كل المجتمعات، وفي كل الثقافات فهو غير مرتبط بمجتمع معين، أو بنظام اقتصادي خاص، ولا ينفرد بها جيل دون جيل.

وقد ظهر الاغتراب في الأدب العربي قديمه وحديثه، وعانى الشعراء على مر العصور من مرارة الغربة، واكتووا بناره، بأشكال مختلفه[(٢)]، منذ العصر الجاهلي حيث حياة التنقل والرحلة من مكان لآخر بحثا عن مصادر للمعيشة، وطلبا للرزق، إلى العصر الحاضر حيث غدا الاغتراب غرضا قائما بذاته، وفي إثر ذلك ظهرت دراسات وبحوث تناولت موضوع الاغتراب من جوانب مختلفة، وأظهرت ما فيه من معان متعددة، ودلالات وأبعاد متنوعة.

وما هذا البحث الموسوم بـ(الاغتراب في شعر طاهر زمخشري ديوانا "عودة الغريب" و "ألحان مغترب" نموذجا) إلا إضافة متواضعة، واستكمال لتلك الدراسات في هذا المجال.

---

(١) الاتجاه الابتداعي، في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينات الهجرية، محمد حمود مجمد حبيبي، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م:٢٢٧.

(٢) الاغتراب في الشعر الأموي، د. فاطمة محمد حميد السويدي، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٧: ٣. الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، أحمد عودة الله الشقيرات، دار عمار، ط١٤٠٤هـ ١٩٨٧م:١٢-١٣. الحنين إلى الوطن في الشعر العراقي الحديث عبد المحسن الكاظمي مثالا، سعاد محمد الزبيدي، ط١، دار الحكمة – لندن، ٢٠٠٩: ٤٢.

وفيه محاولة لمقاربة موضوع الاغتراب حسب ظهورها في شعر الشاعر السعودي طاهر زمخشري[١]، بتسليط الضوء على الأسباب التي أدت إلى اغتراب الشاعر، وبيان مظاهر اغترابه كما تجلت في ديوانيه "عودة الغريب" و" ألحان مغترب".

وبالنظر في حياة الشاعر، يتضح أنها كانت ملأى بالمتاعب والمحن، بدءا بطفولته التي وصفها بالشقية، وقد تحدى فيها الجوع والحرمان والفقر، واضطراره إلى العمل مبكرا ليعيل أسرته، مرورا بانفصال والده عن والدته، وما نتج عن ذلك من إحساس بالتشرد والمرارة، ومما زاد في ألمه ومعاناته، وفاة والديه في العام نفسه الذي توفيت فيه رفيقة دربه، تاركة له أربعة من الأبناء، أصغرهم ابنته التي لم تتجاوز العام الأول من عمرها، وانتهاء بالمرض الذي نهش جسمه، مما اضطره إلى السفر إلى عدة بلدان بحثا عن العلاج[٢].

إضافة إلى ابتعاده عن الأهل والوطن، وكل حدث من الأحداث السابقة كفيل بإحساس المرء بالألم والمعاناة، بل بالعجز واليأس أحيانا، فكيف باجتماعها معا؟

وحاول الشاعر التجلد والتماسك إزاء ما ألّم به من أحداث متسلحا بإيمانه وصبره وإرادته، لكنها كانت أقوى من قدرته على التحمل، ووجد في شعره ملاذا له يبثه همومه وشكواه وأحزانه التي سرعان ما تحولت إلى إحساس بالاغتراب، الذي يعني فيما يعنيه الانسلاخ عن الواقع، والانكفاء على الذات؛ لاجترار الأحزان

---

(١) الشاعر طاهر عبد الرحمن محمد زمخشري، من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م بدأ حياته العلمية في مدرسة الفلاح، تخرج فيها ١٣٤٩هـ١٩٣١م، وطلب الوظيفة مبكرا ليعين والده، بدأ إنتاجه الأول بديوانه (أحلام الربيع) عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م، وهو أول ديوان سعودي مطبوع، ثم توالى صدور دواوينه، وقد صدر له مجموعتان: (المجموعة الخضراء) وتضم أول إنتاجه الشعري و(مجموعة النيل) وتضم آخر الدواوين التي صدرت له. ينظر: الإلهام والأصالة في شعر طاهر زمخشري، د. مريم سعود عبد العزيز أبو بشيت، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٣م:١٥-٢١.

(٢) ينظر: الإلهام والأصالة في شعر طاهر زمخشري، د. مريم سعود عبد العزيز أبو بشيت:١٥-٢١.

والهموم الذاتية، وعدم القدرة على التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع؛ ونتيجة لذلك يشعر المغترب بعدم الانتماء إلى واقعه، ويؤدي إلى عدم الشعور بمغزى الحياة وقيمته[(١)].

وقد يسر الله _ جل في علاه - هذا البحث بدءا من تخطيطه، وانتهاء بمقدمته وجاء البحث في محورين سبقهما التمهيد بالإضافة إلى المقدمة، وتلتهما الخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: تناول الحديث عن مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحا.

وجاء المحور الأول: بعنوان (دواعي اغتراب الشاعر) وفيه عرضٌ للأسباب الذاتية، والمكانية التي أدت إلى ظهور الاغتراب في شعر طاهر زمخشري.

وجاء المحور الثاني: بعنوان (مظاهر اغتراب الشاعر) خُصص للحديث عن المظاهر التي تجلت فيها ظاهرة الاغتراب في شعره.

ونسأل الله أن يكون هذا البحث خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ينظر: الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، أحمد عودة الله الشقيرات، دار عمار، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٧: ١٢. الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، قيس النوري، مجلة عالم الفكر، المجلد ١٠، العدد ١، السنة ١٩٧٩: ١٣.

التمهيد:

يقع هذا التمهيد بين يدي البحث في شعر زمخشري ؛ ليلقي الضوء على مضمون الاغتراب لغة واصطلاحا.

عند تتبع المعنى اللغوي للاغتراب: نلحظ أنه ضيق المعنى لا يتعدى الغرُبة، والبُّعد عن الوطن. فقد جاء في لسان العرب، والغَرْبُ: " الذهابُ والتَّنَحِّي عن الناسِ... والغَرْبة والغربُ: النَّوى والبُعد، ...، والتغرِبُ: النفيُ عن البلد...، والتَّغَرُّبُ: البُعْدُ، ... والغُرْبة والغُرْب: النُّزوحُ عن الوطن. وجل غُرُب، وغريبٌ: بعيد عن وطنه... والجمع غُرَباء، والأُنثى غَريبة، ... والاغْتِرابُ: افتِعال من الغُربة "[(١)].

ويتسع معنى الاغتراب في الاصطلاح، فتتعدد مفاهيمه، وتتنوع أبعاده، وتختلف دلالاته، وتتطور تبعا لاختلاف البيئات والمجتمعات، والثقافات، ولاختلاف الظروف النفسية، والأوضاع الاجتماعية المحيطة بالأفراد.

فيستخدم الاغتراب بمعنى: الغربة، وفقد العلاقات الأليفة بين البشر[(٢)].

ويستخدم بمعنى البعد عن الاقتراب: وهو انعتاق الإنسان من أسر المجتمع، الأهل (مجتمعه الصغير)، والوطن (مجتمعه الكبير)، وفي هذا الابتعاد انسلاخ عن مأمن الإنسان الذي يؤمن له ضروريات الحياة (المأوى، الطعام، الشراب، اللباس)[(٣)].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي- بمؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م: ٣٢- ٣٤.

(٢) ينظر: الاغتراب والإبداع الفني، محمد عباس يوسف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م: ٢٢.

(٣) ينظر: الانتماء والاغتراب "دراسة تحليلية" حسن عبد الرزاق منصور، دار جرش، خميس مشيط، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م:١٩-٢١.

وقد يكون الاغتراب: شعور الإنسان وإحساسه بالوحدة والوحشة وهو بين أهله، وأبناء مجتمعه، وهذا الشعور هو نتاج عجزه أمام قوى الطبيعة وقوى المجتمع[١].

ويعني الاغتراب: " تحول منتجات النشاط الإنساني والاجتماعي إلى شيء مستقل عن الإنسان ومتحكم فيه"[٢].

وهناك معنى آخر للاغتراب، الاغتراب عن النفس: وهو افتقاد الفرد عمله الذي يقوم به، وما يصاحب ذلك العمل من الشعور بالرضا والزهو، مما يخلق لدى الفرد اغترابا وانفصالا عن ذاته[٣].

والاغتراب في تعريفه العام يعني: " الانفصال وعدم الانتماء، ويعرف أيضا بأنه وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته، والبيئة المحيطة به والمحبطة له، وبصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق"[٤].

وقد فرق بعض الباحثين بين الغربة والاغتراب، فالغربة" تعني البعد عن الوطن والأهل، على حين يتسع معنى الاغتراب حتى يشمل البعد عن العالم بل البعد عن الذات" [٥].

---

(١) ينظر الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، أحمد عودة الله الشقيرات، دار عمار، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ١٤.

(٢) فكرة الاغتراب في الفكر العربي، سحبان خليفات، مجلة أفكار، العدد (٢٤) ، ١٩٧٤م:٤٠-٤٣.

(٣) الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، أحمد عودة الله الشقيرات:١٧.

(٤) الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات الصحة النفسية لدى الطلاب اليمنيين في جمهورية مصر العربية، أحمد محمد أحمد الجرموزي،١٩٩٢م: ٢٥.

(٥) ظاهرة الاغتراب في تراثنا الشعري، مقال بقلم د. حسن فتح الباب، مجلة الحرس الوطني، العدد (١٧٨):٨٦.

وهكذا نجد أن الاغتراب يرتبط بمضامين متعددة الأبعاد: الغربة والبعد والشعور بالعزلة، والانخلاع عن المجتمع، والإحساس بالعجز عن التلاؤم، وعدم القدرة على التكيف مع أوضاعه، وعدم الشعور بالانتماء إليه، والانفصال عن الذات، وعن الحياة، وصعوبة الاندماج النفسي، وتفاعل الإنسان مع غيره.

ونظرا لتعدد مفاهيم الاغتراب، واتساعها، اقتصر البحث على كل ما له علاقة واضحة ومباشرة باغتراب الشاعر طاهر زمخشري؛ وذلك بتحليل النماذج التطبيقية الدالة، بهدف تسليط الضوء على جانب من جوانب حياة الشاعر، لم يحظَ – في حدود علمنا – باهتمام الباحثين.

المحور الأول: دواعي اغتراب الشاعر.

يتجلى الاغتراب في ديواني الشاعر" عودة الغريب/ ألحان مغترب" [١] منذ قراءة العنوان الذي جاء مزيجا بين الغربة والاغتراب. وتضمن إهداء ديوان "عودة الغريب" - الذي وجهه لابنته (ابتسام) - لفظة الاغتراب في قوله "إلى رفيقتي في الاغتراب"[٢] وفي قوله كذلك عن ابتسامة ابنته" كانت رفيقي في غربتي، الرفيق الذي ضمد جراحي"[٣] وأنّى لابتسامة " رقيقة بريئة"[٤] – كما وصف- أن تصمد أمام مصائب الحياة، ولكنه كان يلوذ بها عندما تدلهم به الخطوب.

وتضمنت مقدمة ديوانه حديثا عن الاغتراب ودواعيه، مما جعله يلخص حياته بجملة "حياتي الطويلة الحافلة بالكفاح"[٥] علما بأنه كان- كما وصف- " شابا يحمل نفسا طموحة تريد أن تثبت وجودها في الحياة.. كعضو عامل في المجتمع"[٦] لكن هذا الطموح والحلم، سرعان ما اصطدم بالمحن التي تتابعت عليه من كل جانب، ولم يقوَ على فعل أي شيء إزاءها، وهذا يؤدي إلى الإحساس بالعجز والضعف، وعدم

---

(١) ينظر: مظاهر في شعر طاهر زمخشري، عبدالله أحمد باقازي، دار الفيصل الثقافية، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م:١٥.

(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري، ط١، مطبوعات تهامة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م: ٦٠٣.

(٣) السابق: ٦٠٧

(٤) السابق:٦٠٧.

(٥) السابق:٦٠٥.

(٦) السابق:٦٠٥.

القدرة على تحقيق الأهداف في الحياة، والعجز وافتقاد الشعور بالرضى، والنصير والمعين[١]، عندئذ لا بد من الشكوى كما يتضح من قوله[٢].

والتباريحُ أضاعتْ في لهيبِ الشجنِ الكاوِي رغَابي
ورَمتْني للنوّى يَلهُو بِأيّامِي شَتَـاتِي واغترابـي

واتكأ على الجملة الاسمية والفعل الماضي(التباريح أضاعت) للتعبير عن ضياع أحلامه وآماله في الحياة، وجمع كلمة (التباريح) للدلالة على كثرة الأحزان في حياته، وأكسب الأمر المعنوي المجرد(التباريح) صفات الكائن الحي، والقدرة على الفعل بتصويرها تقذف به بعيدا، وفعل الفعل نفسه مع النوى بتصويره يلهو به ؛ للدلالة على عدم رأفة الحياة به، وتتابعت ألفاظ (التباريح والضياع واللهيب والشجن والنوى والشتات والاغتراب) للدلالة على شدة الألم والمعاناة، وعلى الرغم من أن لفظة (لهيب) عبّرت عن المعنى الذي أراده، إلا أنه وصفها بـ(الكاوي) زيادة في إبراز شدة ألمه ومعاناته، كما أن ألفاظ (أضاعت، ورمتني، ويلهو) دلت على شدة الإحساس بالعجز والضعف.

وحاول الشاعر جاهدا مغالبة محن الحياة، والصمود أمامها، معتمدا على إرادته وصبره، وقدرته على التحمل، لكنها كانت أقوى منه فلم يستطع إخفاء مظاهر حزنه وألمه، كما أفصح قوله[٣]:

أَطْلَقَتْ غُرْبتي حبيسَ شَكاتي مُذْ تَوَانتْ خطايَ عنْ غاياتِي

---

(١) ينظر: الاغتراب، ريتشارد شاخت، ترجمة: كامل حسين، دار مشرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٥م:٢١٢.

(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٩٦.

(٣) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٨١.

ومما زاد في ألمه أنه كان في صراع بين طموحه وواقعه، فالآمال كبيرة، وكذلك الطموحات، ولكنها تحطمت على صخرة الواقع، بدليل قوله (توانت خطاي عن غاياتي) و" معظم استخدامات الاغتراب تشترك في افتراض أن علاقة أو ارتباطا ما وُجِد من قبل، ويتسم بأنه طبعي وجيد ومرغوب فيه قد تعرض للفقدان"[١]، وهذا ما جعل الشاعر يطلق الآه الحبيسة في أعماقه. وعبّر عن عجزه عن تحقيق طموحاته في الحياة، بتصويره وجود صراع بين خطاه وغاياته، فالغايات كبيرة والخطوات ضعيفة عاجزة عن اللحاق بآماله.

وبالبحث عن الأسباب التي أدت إلى اغتراب الشاعر يتضح أنها في معظمها تعود إلى **أسباب ذاتية**، كما اتضح من حديثه في مقدمة ديوانه عن الظروف القاسية التي شهدتها حياته في مراحلها المختلفة. وباستعراض هذه الأحداث يتضح أنها تمثلت في: مرارة الفقد في حياته. ومما لا شك فيه أن وفاة أحد أفراد الأسرة يورث الحزن والألم في النفس، فكيف إذا توالت الوفيات وفي فترات متقاربة؟ كما حدث مع الشاعر، فقد توفي والده وأمه في فترة متقاربة لم تتجاوز الأيام[٢].

أما تجربة الفقد الثانية التي مرّ بها فهي وفاة زوجته التي كانت تسانده في حياته، وهي كما وصف" رفيقتي في الكفاح"[٣]. ومما زاد في ألمه وفاتها وهي في مقتبل العمر، وتركت له أطفالا صغارا، وتزامنت وفاتها مع نشوة فرحه بصدور ديوانه الأول"أحلام

(١) الاغتراب، ريتشارد شاخت: ٢١٢.

(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري: ٦٠٦.

(٣) السابق:٦٠٦.

الربيع" الذي لقي استحسانا واحتفاء من النقاد في مصر حين صدوره[١]، ويوحي عنوان الديوان بالنظرة المتفائلة، والإقبال على الحياة، لكن هذه المشاعر سرعان ما انطفأت ليحل محلها الحزن والألم، وبلغ الحزن مبلغه بدليل تمنيه الموت مع زوجته، كما صرّح في قوله[٢]:

هي في أكفَانِها نائمةٌ وأنا السَّاهرُ وحدي للأنينِ
لَوْ تَقَاسَمْنَا الرَّدَى مِنْ يومِهَا كُنْتُ في قَبْرِيَ بَيْنَ النائمِينِ

فهو يشكو من الوحدة، وملازمة الأنين له؛ لفقدانه الرفيق والنصير، فهي تركت فراغا كبيرا في حياته_كما يتضح من قوله: كانت" المشجع الذي يدفعني إلى السير كلما تعثرت بي الخطى، وهصرني الألم، وعصفت بي الشجون"[٣].

وربما سيطر عليه الإحساس بالذنب؛ لأنه تركها وهي حامل، وأصبحت وحدها مسؤولة عن ثلاثة من الأبناء، صحيح أنها شجعته على السفر كما يقول[٤]، لكن العبء كان كبيرا، من هنا عمد إلى تصويرها نائمة في قبرها مرتاحة من هموم الحياة ومتاعبها.

---

(١) الصورة الشعرية عند طاهر زمخشري١٣٣٢-١٤٠٧هـ، دراسة موضوعية فنية، فاطمة بنت مستور قنيع المسعودي، نادي مكة الثقافي الأدبي، ط١، ١٤٢٤هـ: ١١.

(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري: ٦٠٧.

(٣) السابق:٦٠٦.

(٤) ينظر: السابق:٦٠٦. وينظر: نظرات في الأدب السعودي الحديث، راضي صدّوق، دار طويق للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٤هـ: ١٥٢.

وظن الشاعر أن سفره قد يساعده في تحقيق آماله وطموحاته، لكن هذا الأمر لم يتحقق بدليل قوله" وغبت شهورا بلغ فيها بي اليأس منتهاه"[١] وبخاصه أنه عندما سافر كان- كما قال- " خلو الوفاض، وزادي الأمل، وشراعي الصبر، واعتمادي على الله الذي يكفل الرزق، ويمنح السراء، ويكشف الضراء"[٢].

إذن هو سافر يحدوه الأمل الذي صوّره يمده بالعزم والإصرار على تحقيق حلمه في قوله[٣]:

فكَانَ عَزَائِي في اغترَابِي نشيدَهُ فأَخْرَسَه ما قد جَنَاه التَّغرُّبُ
إذا بليالِي العمرِ في قبضةِ الأَسَى وإنّي في رَمْضَائِه أَتَقَلَّبُ

ورسم الشاعر صورتين متقابلتين لحاله وهو بعيد عن وطنه: الأولى مذكورة في النص جسّدت حاله بعد ضياع أمله، بتصويره الأسى يحيط به من كل مكان لا يستطيع التخلص منه، بدليل قوله (في قبضة الأسى) ففي تدل على الاستغراق، وتمم الصورة بقوله (في رمضائه أتقلب) وجاء التعبير بالفعل المضارع (أتقلب) ليدل على استمرارية الألم وتجدده.أما الصورة الثانية فهي ضمنية يمكن للمتلقي استنباطها من المذكور في النص عندما كان الشاعر يعيش في وطنه بين أهله وأصدقائه، ويشعر بالأمن والأمان.

ويكشف البيتان السابقان عن أنّ الإحساس **بالغربة والاغتراب** عن الوطن والأهل كان أقوى من أمله الذي بدأ بالتضاؤل إلى أن أصبح سرابا، واكتشف أن عمره ضاع وهو ينتظر المحال، وحلّ الأسى محل الأمل، كما اتضح في قوله[٤]:

---

(١) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٠٦.
(٢) السابق:٦٠٦.
(٣) السابق:٧٠٨.
(٤) السابق:٦٨١.

مـــا تَغَرَّبْـــتُ عَـــنْ أُناسِـــي وأَهْلِـــي بـــلْ تَغَرَّبْـــتُ فِيْ صَـــمِيمِ الحَيْـــاةِ
مَـــوطِنِي وحْـــدَتِي، وصَـــحْبِي كُلـــومِي وتـــرانُيم خَـــافقِي زَفَرَاتِـــي

وتتابعت التشبيهات في البيت الثاني لتصف حاله وهو في الغربة، فالوحدة والغربة والجراح والزفرات تلازمه، وباتت أنيسه في وحدته، وكشف قوله (تغربت في صميم الحياة) عن عمق حزنه وألمه.

وإزاء ذلك لم يكن أمامه إلا العودة إلى وطنه دون تحقيق أمله، كما يتضح من قوله[1]:

كُنْـــتُ بالْغُرْبَـــةِ أَشْـــقَى، صـــرْتُ أَشْـــدُو لإِيـــابِي
عُـــدْتُ يـــا مســـرحَ أحلامِـــي، وقـــدْ أَبْلَيْـــتُ في الشـــكْوَى ثِيَـــابِي
زَادِي الحَسْـــرَةُ و التَلْوِيـــعُ، والآلام والبـــلْوَى ركِـابِـــي
وعَصِـــيُّ الَّـــدمع للظَّـــامِئ في الوحـــدةِ يســـخُو بالشَّـــرَابِ
وجِرَاحَـــاتِي الـــتي أَحْمِـــلُ رَحْلِـــي كُلَمـــا جـــدّ طـــلابي

ووصف حياته - وهو بعيد عن وطنه – مليئة بالشقاء، وملازمة الشكوى له، مجسّدا الحسرة بالطعام الذي يقتات عليه، وبرغم من أن دموعه عصيّة، فإنها قد سالت بغزارة معبرة عما في داخله من ألم وهموم، واحتشدت في الأبيات السابقة الألفاظ الدالة على الألم، وهي (الغربة، وأبليت، والشكوى، والحسرة، والآلام، والبلوى، والجراحات) التي تظاهرت معا لتصوير حاله في الغربة.

(١) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٩٧.

وكأن ما حدث معه لم يكفِ، وها هو ذا المرض ينهش جسمه، فقد أصابه مرض في عينيه كاد أن يفقده بصره[١]، لولا رحمة الله ثم عانى من الفشل الكلوي مما اقتضاه المكوث في المستشفيات مرارا، وإجراء عدة عمليات جراحية[٢].

ورسم الشاعر صورتين متقابلتين لحاله قبل المرض وبعده في قوله[٣]:

وكُنْتُ مـعَ الأيـامِ أَضْـحَكُ للمُنـى فصـرتُ بآمـالي الوسـيعةِ أنـدُبُ
وقَـدْ تَـبَّطَ الـداءُ الممـضُّ عزائِمـي عـنْ القصـدِ حتـى لمْ يَعُـدْ لِـيَ مَـأرَبُ
نـأى بِـي عَـنْ مَجْنَـى أَمـانيَّ والهـوى وفي راحَتَيْـه خَـافقـي المَتوثِّـبُ

متكئا على المقابلة لتصوير حاله قبل المرض وبعده، فهو كان يعيش حياة مفعمة بالأمل والأمنيات الجميلة، لكن كل هذا تلاشى مع المرض الذي حلّ به وقضى على آماله الجميلة، واختزل الفعل(ثبط) معاناته مع المرض الذي وصفه بـ(الممض) ليكشف عن مقدار ألمه ومعاناته بحيث لم يعد له أي أمل بالشفاء.

وتتابعت التشبيهات الدالة على الحزن والألم بتشبيهه المرض بالرداء الذي يحيط به ويلازمه ملازمة الثياب لصاحبها في قوله[٤]:

بَعْـدَ أَنْ جُبْـتُ صَـحَارَي العُمْـرِ يَطْـوِينِي ليبْلِـيني الشَّـقَاءْ
زادي الحَسـرةُ والأَشْجـانُ قيثـاري وأَسْقـامِي رِدَاءْ

وشبّه الحسرة بالطعام الذي يقتات عليه، أمّا الأحزان فشبهها بقيثارته التي يعزف عليها ألحانه الحزينة، ودلّ جمع كلمة (أسقامي) ونسبتها إلى نفسه على معاناته

(١) السابق:٦٠٦.
(٢) ينظر: الصورة الشعرية عند الزمخشري، فاطمة المسعودي: ١١.
(٣) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٧٠٨.
(٤) مجموعة النيل، طاهر زمخشري: ٦٦٦.

من عدة أمراض، وليس مرضا واحدا، وهذا ما جعله يصف المرض بـ(القيد) الذي يكبله ويمنعه من الحركة في قوله[١]:

وإذَا بِـــي في مَكـــانِي مُوثَـــق الخَطْـــوِ بِقَيْـــدٍ مِـــنْ بَلَـــاءْ

ومع أن كلمة(موثق) تدل على عدم القدرة على الفعل فإنه أضاف إليها كلمة (قيد) ليصور شدة وطأة المرض عليه، أمّا تنكير كلمة (بلاء) فدلّ على اشتمالها على كل أنواع الابتلاءات، والمرض واحد منها.

ومن **الأسباب الذاتية** التي أدت إلى إحساسه بالاغتراب في مجتمعه سواد بشرته الذي خصص مقطوعة في ديوانه بعنوان "إليها" ليرد على مَن عيّرته بسواد لونه، كما اتضح من التذييل في أسفل عنوان[٢]. المقطوعة وهو قَصَدَ قصْدا لفظة (عيّرتني) التي تدل فيما تدل عليه من ذكرٍ لصفات أو أعمال تدعو إلى الخجل، والانتقاص من القيمة والشأن؛ ليبين أن ما عُيّر به أمر لا حيلة له به، والإنسان لا يختار لونه، ولكن هذا هو مجتمعه، وهنا اجتمع السبب الذاتي مع العام ليؤدي إلى الاغتراب الاجتماعي.

ولجأ الشاعر إلى الثنائية الضدية بين اللونين الأسود والأبيض لينتقد مظهرا من مظاهر الخلل في مجتمعه الذي يعلي من شأن بياض البشرة، ويعدها ميزة، أما سواد البشرة ففيه مذمة ومنقصة، وهذا ينم عن نظرة سطحية واستعلائية كما يتضح من قوله[٣]:

لا يَعِيـــبُ السَّـــوادُ صـــفحةَ وجـــهٍ هـــي بالمـــاءِ ذِلَّـــة لا تجـــودُ
لا ولا يَرْفَـــعُ البَيَـــاضُ ذلـــيْلاً إِنَّمَـــا المَـــرءُ مـــا بَنَـــى أَوْ يشِـــيدُ

(١) السابق: ٦٦٧.
(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٥٣.
(٣) السابق:٦٥٣.

فسواد البشرة الذي أرادت مَن عيّرته به الانتقاص من قيمته (وهي تمثل فئة من مجتمعه) لا يراه الشاعر أمرا معيبا، أو مخجلا يستوجب التعيير به، وبالمقابل فإنّ بياض البشرة مجرد مظهر خارجي، وقيمة الإنسان في جوهره، وجاء التذييل المبني على القصر (إنما المرء ما بنى أو يشيد) لتأكيد هذه الحقيقة.

ومما يجدر ذكره أنّ الشاعر لا يعبّر عن همّ ذاتي خاص به، وإنما يصوّر معاناة شريحة من مجتمعه تعاني كما يعاني هو، مستعينا بالحكمة في البيت الثاني ليعمم فكرة أنّ فِعْل الإنسان هو الذي يرفع من شأنه، وليس لونه أو جنسه.

وبرغم مما في البيتين السابقين من دحض لفكرة يؤمن بها بعض فئات مجتمعه، فإنها تكشف عن الإحساس بالمرارة من مجتمعه، ولولا ذلك لما نظم مقطوعة ليدافع فيها عن أمر خارج عن إرادته، فهو ينتقد فئة من مجتمعه تؤمن بهذه الفكرة.

وهذا بدوره يقود إلى الحديث عن **الأسباب الاجتماعية** التي أدت إلى اغتراب الشاعر

الذي شعر بالأسى والحزن لشيوع أخلاق مذمومة في مجتمعه، من مثل الحقد والكراهية والنفاق الاجتماعي، مما جعله ينكفئ على ذاته؛ لأنه لم يعد يجد الصديق الوفي والإنسان النقي، لا بل إنه وجد الوفاء في الرُبى، كما يتضح من قوله[(١)]:

بمَعَانِيكِ يَا نجيَّة روحٍ بك تحيا نَدِيَّةً بالحَنَانِ
تَسَامَى إِلى عُلَاكِ بنجوا كِ وفي موكبِ السَّنَا الروحَانِي

(١) مجموعة النيل، طاهر زمخشري: ٦٦٤.

فهو وجد أنيسه في الرُبى (غير العاقل) ووصفها بـ(نجيَّة الروح ونَدِيَّةً بالحنان) وهذه من الصفات التي بات يفتقدها في الأحياء ؛ لأنه وجد فيهم الغدر والحقد والخداع ، كما اتضح من قوله في مقطوعة بعنوان" نصيحة"[١] :

وقُلْتُ لهُ : احْذَرْ. قَالَ : مِمَّنْ أَجَبْتُه نَسِيتَ الذي لاقَيْتُ من فعله المُزْري
لقَدْ كَانَ يَلْقَانِي ويُقْسِم أَنَّنِي أَعَزُّ مِن الأَولادِ لو أَنِي أَدْرِي
ورَاحَ يَحوك الكَيْدَ مِنْ نَسْجِ حَاقِدٍ ليصَطَادَ آمالي الكَبيرةَ بالغَدْرِ
فمَا هِي إلا ليْلةٌ عنْدَ صُبحِها تَبسَّم عَنْ نابٍ ضرْواتُه تَفْرِي

واتخذ الشاعر من الحوار وسيلة للتعبير عما في نفسه من ألم ؛ لما يجده من صفات في بعض أفراد مجتمعه ، ومما زاد في ألمه أن الصديق - الذي كان يراه أعز من أولاده ، ويقسم على ذلك- يتحول إلى عدو يسيطر عليه الحقد والغدر ، فهذا التحول الكبير وغير المتوقع ، والانتقال من الصديق إلى عدو ، يعمّق الجراح ، وتتابعت المؤكدات في البيت الثاني (قد والفعل الماضي والقسم وتكرار أنّ) ليبين مقدار التباين بين كلام الصديق وفعله ، وماذا عساه يفعل إزاء ذلك؟ فقد كان الألم أشد والحزن أعمق ؛ لانهيار هذه العلاقات وافتقاده لها وبخاصة عندما تكون متوقعة[٢].

فالشاعر يشعر أنه غريب برغم وجوده في بلده وبين أهله ، وهذا يعكس بوضوح الغربة النفسية التي يعيشها- وقد سيطر هذا الإحساس عليه ، وظل يوجهه في حله وترحاله- بعد أن نأت عنه المحبوبة[١] ، وتنكره الأصحاب ، يقول :

---

(١) السابق:٦٤٥.

(٢) الاغتراب" سيرة مصطلح"، محمد رجب، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م: ٣٥-٣٦.

وماتغرَّبت عن أهلي وعن سكني لكن ينازعني إحساس مغتربِ

ونتج عن ذلك أنه فضّل العيش في الغابة نهج الرومانسيين حيث الفطرة والنقاء[٢] وبساطة العيش على مخالطة البشر حيث الشرور والآثام، يتضح ذلك في قوله[٣]:

ليتَنِي أرجعُ للغابِ فلا أجْعَلُ الشَّيْطَانَ في الُّدنيَا (رفِيقِي)
آكلُ الأَعْشَابَ فيها أرْتَوِي بالنَّدَى المسْكوبِ في الغُصْنِ الوَرِيقِ

ولا يمكن للإنسان أن يتمنى مثل هذه الأمنية لو وجد الوفاء في البشر، ورنا الشاعر ببصره نحو الغاب باحثا عن عالم متخيل مثالي يخلو من الظلم والفساد، يعوضه ما افتقده في واقعه من أمن ودفء وراحة، والشاعر بصنيعه هذا متأثر بالشاعر المهجري جبران خليل جبران في مواكبه، وبإيليا أبو ماضي الذي سئم الناس جميعا، كما تجلت روح أبي القاسم الشابي في قصائده[٤]، ولولا اغترابه هو أيضا عن مجتمعه لما فعل ذلك و" الاغتراب في صوره وأشكاله المختلفة ليس نتاجا إلا لعجز الإنسان أمام

=

(١) في الشعر السعودي المعاصر، فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، ١٩٩٠م، ط١: ٣٦-٣٧.

(٢) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث، محمد حبيبي:١٣٧.

(٣) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٧٠٥.

(٤) ينظر: في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعوية، عبدالله الحامد العلي الحامد، دار الكتاب السعودي، ١٤٠٦-١٩٨٦م، ط٢، ٩٦-٩٧. الرومانسية في الشعر السعودي الحديث، إقبال محمد العرفج، النادي الأدبي في الأحساء، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ط١ :١١٢.

قوى الطبيعة وقوى المجتمع"[١]. إذن اغتراب الشاعر ناتج عمّا يستشعره في مجتمعه من فتور في علاقته مع الآخرين.

ويُصر الشاعر على أن غربته الحقيقية تكمن في حياته بين أهله وناسه، وضيقه من الحياة، فلا عجب إذن أن يتمنى أمنية غريبة، وهي أن يعيش وحيدا في عالمه المثالي (أحراش غابه)، متلذذا بوحدته وعزلته- " والعزلة تنبع من كيان الشاعر وتفكيره، ومن لفح المؤثرات الاجتماعية التي تتفاعل مع فكر الشاعر، ويتأثر بها في سلوكه وحياته اليومية، وتذهله تموجاتها، وتادها، وتعارها مع مثالية القيم"[٢] - حيث الاستقرار والطمأنينة بعيدا عن عالم البشر عالم الحزن والكآبة، العالم الذي تغيب فيه القيم والمشاعر والأحاسيس[٣]، يتجلى ذلك في قوله[٤]:

مُنَــى نَفْسِــي بــأَنْ أَحيَــا وحيــدًا أُطَــوِّفُ في مَــدى أَحْــراشِ غَابْــه
وأَنْعَــــمُ في مراتِعِهــــا بِفَــــيْءٍ ظليــــلٍ لا تُجَلّلــــه كآبْــــه

ويؤكد الشاعر أن هروبه إلى الغاب وعودته إليه ، واللجوء إلى أحضان الطبيعة لأنها لا تحمل الأحقاد، والحسد والأضغان، والصراع البشري على الحياة[٥]، يقول[٦]:

---

(١) الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، أحمد الشقيرات:١٤.

(٢) الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية، مسعد عيد العطوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٠هـ، ط٢ :٤٩١.

(٣) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث، محمد حبيبي:٢٣٤-٢٣٥.

(٤) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٨١

(٥) الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية، مسعد عيد العطوي:٤٨٩.

(٦) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٤٨٩.

لا أرى فيك حسرة تلهب الحقد، ولا شقوة تحز وتيني
لا ولا يمض التبلد وجداني، ولا أكتوي بنار الظنون
لا ولا تقتل المواجد إحساسي، ولا ترسل المآسي شؤوني
لا ولا تنهض الضغينة بالأحقاد، وتجتث خطوها في جنون

ومن الأسباب التي أدت إلى اغتراب الشاعر **معاناته من الحب**، "والتجربة الرومانسية في شعر طاهر زمخشري هي تجربة شاعر عشق الحياة من خلال المرأة، ولكنه لم يحظ من هذه التجربة إلا الشقاء والعذاب والحرمان، وهو يتشابه في تجربته هذه مع تجربة الشاعر إبراهيم ناجي"[١] فهو تحمّل في سبيله ما تحمل، ؛ لأنه كان مصدرا من مصادر سعادته في بادئ الأمر، ثم تحول إلى مصدر من مصادر حزنه وألمه – كما سيتضح – فكيف يمكن للشيء

الواحد أن يكون مصدر فرح ومصدر حزن وألم في آن واحد؟ بدليل قوله[٢]:

أُحِبُّ نَعْم ويُسْعِدِني شَقَائِي بتلويع الجوارحِ بالتَّنَائِي

وكان مستعدا للموت في سبيل حبه، كما صرّح في قوله[٣]:

فَإِنْ صَوَّبْتِ سَهْمَكِ لاغتِيَالِي فإنَّ المَوتَ يحْلُو مِنْ يديْكِ

وصوّر نفسه فَرِحا بشرب السم من يد المحبوبة ولا يبالي في قوله[٤]:

بَلْ تذكَّرْتُ كيفَ كَانَ فؤادِي يَرْتَوِي بالزُّعَافِ مِنْ رَاحَتَيْهَا

(١) في الشعر السعودي المعاصر، فوزي سعد عيسى:٣٥.
(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٣٨.
(٣) السابق:٧٠٠.
(٤) السابق: ٦٤٤.

وكان طيف المحبوبة يؤنسه في وحدته، بل إنه يشعر بالأسى إن لم يرَ محبوبته، كما اتضح

من قوله[١]:

أُسـرِّحُ الطَّـرفَ مِـنْ حَـولِي فيرْجِـعُ لـي مُقَـرَّحَ الجَفْـنِ لم يظْفَـرْ برؤْيَـاكِ
وكَـانَ طيفُـكِ في الـديجورِ يُؤْنِسُـي ويُبْعِـدُ النَّـومَ عَـنْ عينِـي بِنَجْـواكِ

وترك لإيجاز القصر في قوله (مقرح الجفن) التعبير عن شدة ألمه لعدم رؤيته لمن يحب.

ولكن سرعان ما ظهر الوشاة الذين اعتادوا على إفساد سعادة المحبين، وفعلوا فعلهم، كما

أفصح قوله[٢]:

وتَجنَّـى ومـا أَتَيْـتُ أَثَامَـا غـيرَ مـا حاكَـهُ دُعَـاةُ الشِّـقاقِ
حَـاولُوا الـدسَّ بيننـا فأَصَـابُوا منْـه أُذْنًـا فشـوّهُوا في خَلاقِـي

وهذا القول يكشف عن خيبة أمله فيمن يحب ومرارته من استماعها إلى كلام الوشاة. فهو

قد يحتمل كلام الوشاة وأفعالهم، لكنه لا يقوى على تحمل تصديق محبوبته كلامهم، وكان يجدر بها أن تحذو فعله بالدفاع عن حبهما، والتمسك به، كما صرّح في قوله[٣]:

---

(١) السابق :٦٧٦.

(٢) السابق:٦٧٠.

(٣) مجموعة النيل، طاهر زمخشري :٦٧١.

فتحمَّلْتُ فِي سَبيلِ وفَائِي واحتفاظِي بهِ جَحيمَ الفِراقِ
إذْ تَنَاسَى وما نَسْيت التياعِي وأَنَا من فتونِه في وَثَاقِي

مشبها نفسه بأسير مَن يحب ولا يستطيع تحمّل ابتعاده عنه، ومشبها الفراق إذا حدث بينهما بالجحيم، وكان يؤمل أن تكون هذه مشاعر مَن يحب أيضا.

ولكن هذا الوفاء والإخلاص لم يجد ما يقابله من محبوبته بدليل قوله[١]:

ورمَانِي بمَا أَسَرَّ عداتِي منْ أَنينٍ ولَوعَةٍ واحْتِرَاقِ

وحلّ الأنين والاحتراق محل مشاعر الحب والوفاء، مما جعله يصف حبه بالهباء والمزيّف في قوله[٢]:

وكَانَ هواكِ منْ نَسْجٍ هباء يُوشِّي حُسْنَهُ زيفُ الطِّلاءِ

فحبس في قلبه ألمه، لكن دموعه سرعان ما كشفت عن عميق ألمه، فهو يبكي حسرة على هذا الحب الضائع في قوله[٣]:

وحبستُ الشُّجون بينَ ضلوعِي فاسْتَفَاضَتْ جياشَةً في المآقِي

وتحوّل الحب من مصدر للفرح إلى مصدر للألم، كما صوّر في قوله[٤]:

والهوَى الملهِمُ في الأَعْمَاقِ برُكَانٌ تَلَظَّتْ في جواهِ المقْلتَانِ

وعبّرت ألفاظ (بركان، وتلظت، وجوى) عن شدة الحزن والمعاناة، بل المرارة. وكما كان حبه

(١) السابق:٦٧٠-٦٧١.
(٢) السابق:٦٥٩.
(٣) السابق:٦٧٠.
(٤) السابق:٦٦٨.

كبيرا وصادقا، كان الألم كبيرا وعميقا، بدليل قوله[١]:

ولـــــلآلامِ زمجـــــرةُ الضَّـــــوَارِي بأَعْمـــــاقِي يُهَدْهِـــــدُها بُكـــــائِي

ودلت الجملة الاسمية (وللآلام زمجرة) على ديمومة الألم الذي شبهه بزمجرة الضواري، كناية عن شدته، وماذا عساه يفعل إلا ذرف الدموع، لعلها تطفئ من النيران المشتعلة في داخله.

وجسّد قوله[٢]:

ومـــا هُـــو مـــدمعي يجـــرِي ولكـــنْ نِثَـــارُ القَلـــبِ يُعْـــرِبُ عـــنْ وفَـــائِي

شدة الألم والخسارة والفقد، وفي الوقت نفسه يكشف عن مدى إخلاصه وصدقه في الحب.

وجلب له هذا الحب الحزن والألم بدليل قوله[٣]:

ومكبّـــل القـــدمينِ رنَّحـــهُ الأنـــينُ علـــى ضِـــرامٍ مِـــنْ جَـــواكْ

بتصويره للحب بقيد لا يستطيع التخلص من إساره، وبذا يكون قد رسم لنفسه صورة تفيض حزنا وألما.

وهيهات للحزن أن يعيد الحياة للحب الذي انقضى، من هنا شبّه زفراته بألسنة من النار المشتعلة في فؤاده في قوله[٤]:

وتصـــــاعُدُ الزفـــــراتِ أَلســـــنةٌ لِنَـــــارٍ في الجـــــوَانحِ مـــــن أَسَـــــاكْ

---

(١) مجموعة النيل، طاهر زمخشري :٦٣٨.

(٢) السابق:٦٣٨.

(٣) السابق: ٦٧٣.

(٤) السابق: ٦٧٣.

ولم يكن أمامه إزاء هذا الجحود إلا أن ينسى، كما صرّح في قوله[١]:

سلوتُ وصرتُ أَسْخَرُ منْ بكَائِي عليكِ فلستُ أَرجعُ للوراءِ
فماضيكِ الَمقِيتُ ذَوَى هشِيمَا وذرَّتْه الرياحُ معَ الهباءِ

ولم يكتفِ الشاعر بتناسي حبه، بل سَخِر من نفسه لبكائه على حبه الضائع الذي بات من الماضي، ولم يعد له وجود في واقعه، ويكشف وصفه لزمن حبه بـ (بالمقيت ذوى) عن عمق التحوّل الذي طرأ على نظرته للحب، وصوّر الرياح تبعثره وتقضي عليه، كناية عن تحرره من آثار هذا الحب الذي صّوره - فيما مضى- قيدا يكبّله.

ويشعر بالأسف والندم على عمره الذي انقضى في الحب، كما قال[٢]:

لَعَنْتُ هواكِ كيفَ اغتَالَ مِنِّي ربيعًا كانَ يَزْخَرُ بالهناءِ ؟!

واختزل إيجاز القصر في (لعنت هواك) تخلصه من آثار حبه، الذي شخّصه بكائن حي قتل فيه أجمل مشاعره، وسرق منه عمره الذي وصفه بالربيع الذي ذوى قبل الأوان.

وشتان بين مشاعر الألم والحزن الآن، ومشاعر الفرح والبهجة فيما مضى، بل إنه حفاظا على ما تبقى من كبريائه رجم هذا الحب في قوله[٣]:

رَجَمْتُ هواكِ بالنسيان أَلفًا وتَابعَ رجْمَه كفُّ العَفَاءِ
وقد مَاتَتْ هواجسُه بنفسِي وأَبْقَيْتُ الإباءَ لكبْرِيَائِي

(١) السابق:٦٥٨.
(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٥٩.
(٣) السابق: ٦٥٩.

ودلت الألفاظ (ذوى، والهشيم، وذرته الرياح، والهباء، والعفاء) على تلاشي هذا الحب في نفسه، ولم يعد له أي قيمة، بل إن تكرار كلمتي (رجمت، ورجمه) يكشف عن رغبته في التخلص من آثاره؛ لأنه اغتال منه أجمل لحظات عمره. إذن ما ظنّ أنه سيكون ملاذا أو أملا له يتحول إلى مصدر بؤسه وشقائه وألمه.

ومما سبق يتضح أنّ دواعي الاغتراب قد توافرت في حياة الشاعر، ونتيجة لذلك صوّر نفسه فاقدا للأمل في قوله[١]:

وأَطوِي ليالِي العمرِ لا شَيءَ أَرْتجِي فبرقُ رجَائِي ملء عينَّي خُلَّبُ

وقضى عمره بين الأنين والهموم، كما اتضح من قوله[٢]:

وعَبرْتُ السنينَ أَشْرَبُ كَأْسِي وهي دفَّاقةٌ تفيضُ بسُمٍّ

مُرّة، والأَنين يُجرِي قَذَاها في المآقي مِنْ الحَنَايَا بِغَمٍّ

ودلت صيغة المبالغة (دفّاقة) على أن المآسي في حياته كانت أكبر من قدرته على التحمّل، وبخاصة أن حياته- كما صوّر- ملأى بالمرارة والأنين، مصوّرا نفسه يتجرع كأسا مملوءة بالسم، ومع ذلك يستمر في شربه، وترك العنان لدموعه؛ لتعبر عما في داخله من ألم وحزن.

وهذا الإحساس بالعجز والضعف يؤدي إلى انكفاء الإنسان على ذاته يجتر أحزانه؛ لذا

جاء قوله[٣]:

---

(١) السابق:٧٠٧.

(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري :٦٤٥.

(٣) السابق:٦٠٦.

حنانيـكَ يـا دهـرِي فحسْـبي مكائـد وحسْـبي شـباب مـن مآسـيك راكـد
وحسـبي أنـي مـا قـضـيت لبـانتي مـن العمـرِ حتـى ضـاعَ والعمـر واحـد
متـى راحَ منـه الحـول خلَّـف حـسرةً فـلا هـو مرتـد ولا هـو عائـد

ليمثل صرخة من أعماق إنسان مكلوم، فَقَدَ بهجة الحياة، ويرجو من دهره أن يرأف به، ولا يُلحِق به المزيد من الأذى. فهو مُوزّع بين أمس مليء بالمآسي التي توالت، وبين العمر الذي ضاع دون تحقيق الآمال، وغدٍ يتوقع فيه المزيد من الحسرات قياسا على ما مضى من حياته.

المحور الثاني: مظاهر اغتراب الشاعر:

يهدف هذا المحور إلى تحليل مظاهر اغتراب الشاعر كما تجلت في شعره:

أولا: العنونة:

عند تسليط الضوء على ديوان "عودة غريب" نجد أنّه حفل بألوان شتى من مظاهر الاغتراب، بدأت منذ عنوان الديوان، فهو يصف نفسه **بالغريب**، وكما اتضح من الحديث عن حياته أنه سافر عدة مرات، ومن المتوقع أن يشعر المسافر في بادئ الأمر **بالغربة**، وسرعان ما تحوّلت هذه الغربة إلى اغتراب بسبب البعد عن الأهل والوطن، وعدم تحقيق المراد، وتتابُع الأحزان، بدليل عنوان الديوان الثاني" ألحان مغترب". وبالنظر في هذه الألحان يتضح أنها أقرب إلى الأشجان من الألحان، كما سيتضح من تحليل مظاهر اغترابه.

ونظرة في عناوين قصائده تكشف عن اغترابه ومنها (عودة الغريب التي تحمل عنوان الديوان ذاته، وقصيدة في (الغاب..؟!)، وإلى صخرة، وإلى خيال، وإلى سراب، ومناجاة وسادة) ولولا شعور الاغتراب الذي لازم الشاعر لما لجأ إلى بث شكواه إلى الغاب ، ولا إلى السراب، أو مخاطبة صخرة والارتماء بين أحضانها- على سبيل المثال- والمعروف أن الصخور تدل على الصلابة والقسوة، فكيف يترك

الشاعر الأحياء ويخاطب غير العاقل! بل شبّه الصخور بسميره الذي يرثي لحاله، ويقاسمه همومه وأحزانه في قوله[١] :

وسميري من الصِّخَارِ صُوانٌ باتَ يرثِي لوِحْدتِي في الدُّجونِ

وكشف وصف الصخور بـ(صوان) عن سوء حاله الذي جعل الصخور (رمز القسوة) ترقّ لحاله، وتؤنسه في وحدته عندما تشتد به الآلام ليلا. ولا يمكن للإنسان أن يجد في الصخور سميرا له، لولا أنه فقد الأمل في الأحياء، وبذا يكون الشاعر أكسب غير العاقل (الصخور) صفات الكائن الحي، لعلها تتعاطف معه في محنته.

ثانيا: الحزن والشكوى:

فجرت الأحداث التي مرت في حياة الشاعر مكامن الحزن في نفسه، شأنه شأن الشعراء الرومانسيين الذين طبع الحزن شعرهم، "وهو حزن يدل على عزلتهم الروحية ونفورهم من أدواء المجتمع "[٢]

ومن ملامح الحزن مناجاة (وسادة) بتصويرها أنيسه في غربته، يبثها همومه وأحزانه كما في قوله[٣]:

كُنْتِ لي ياوسادتي في الليالِي الأنيسَ الذي يَرِقُّ لحالِي
كلَّمَا أَطْبَقَ الوجومُ حَوَاليّ وضَاقَتْ خواطِري بالملَالِ
وبصدرِي من اللواعجِ إعصارٌ ترامَى من الأَسَى القَتَّالِ

وأبرز قوله السابق إحساسه بالوحدة وافتقاده للصديق والأنيس، فكيف يجد ملاذا له عند الصخور والوسادة، ولا يجدها عند الأحياء من الناس! ولولا إحساسه

(١) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٢٧.
(٢) الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، دار العودة- بيروت،١٩٨١: ٥٨.
(٣) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٩١.

بالاغتراب لما فعل ذلك، وهذا يعني أنه بات يفتقد الرفيق والأنيس، والبهجة في الحياة في واقعه الذي رسم له صورة مؤثرة ملأى بالألم والحسرة والحزن الذي أحاط به إحاطة السوار بالمعصم، فحيثما التفت رأى ألما وحزنا، مما جعله يعيش بين الآه والأنين، يشكو ويندب حظه المرير ، كما قال[١]:

بين آهٍ تعلن الحسرةَ في صوتٍ حبيسِ النبرات
وأنينٍ يَحرقُ القَلبَ فيَجْرِي لاهبًا في عبراتِي
وليالٍ كلما أوغلتُ فيها سَابَقتْنِي عثراتِي

واجتمعت ألفاظ (الآه والحسرة والأنين والعبرات) للدلالة على سيطرة الحزن عليه، ومَن كان هذا حاله لا محالة أن يبلغ به الألم مبلغا جعل صوته خافتا محبوسا في صدره لايكاد يُسمع، تاركا لدموعه التعبير عمّا في داخله، ودلّ تنكير كلمات (آهٍ، وأنين ،وليالٍ) على شدة الألم والإحساس بالمرارة.

وينظر الشاعر بأسًى إلى عمره الذي انقضى[٢]:

بين أمسٍ خلفَ الغيومِ تَوارَى بعْدَ أنْ رَجَّعَ الأَماني نشيدَا
وغدٍ يَخْفِقُ الفؤادُ لمرآ ه ليَلْقَاهُ بعدَ لأْيٍ سعيدَا
فإِذَا بِي صِفْرُ اليدينِ بيومٍ الأَسَى فيه قدْ تَمادَى عنيدَا

فهو متأرجح بين الأمل واليأس، برسمه صورتين: الأولى لماضيه الذي تولى ورحلت معه أجمل أمنياته، والثانية لمستقبله الذي تمنى أن يعوّضه عما افتقده في حاضره، إلا أن اليأس والحزن سيطرا عليه، بدليل قوله (صفر اليدين) كناية عن عدم تحقق مراده، ووصفه للأسى بالإنسان العنيد الذي لا يريد أن يتزحزح في قوله

(١) السابق:٦٢٦.

(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٧٨.

(والأسى فيه قد تمادى عنيدا) كما أن كلمة (لأْي) تدل على المشقة والجهد المبذول في البحث عن لحظات من السعادة المفقودة ، مما يعني أن مساحة الألم والحزن في حياته أكثر من لحظات الفرح والسعادة في حياته. فأخذ يشكو حرمانه الموجع ، راسما صورة لحاضره تفيض ألما وحزنا. والشكوى المريرة .. لغة حية في رحاب الرومانتيكيين تترنح على شفاههم.. وتلف أجسامهم.. وتنفذ إلى أسماعهم.. فلا ينظرون إلا ظلاما.. ولايسمعون إلا ندبا وعويلا.. ولا يذوقون إلا المرارة"[(١)] ،وهذا الأمر برز بجلاء في قوله[(٢)] :

في فؤادِي الأَشجانُ تُلْهِبُ بُركانًا ، وتُذْكِي بينَ الحنايَا وَقُودَا
وبعَيْنِي مدامعٌ تُرسِلُ الطو فانَ من لوعةٍ رَمتْ بِي وحيدَا

مصوّرا أحزانه وهمومه بالنيران التي تشعل بركانا في داخله ، وصوّره أيضا بالوقود الذي يزيد النيران اشتعالا ، وهذا يكشف عن عمق الجراح وشدة الألم ، وإزاء ذلك لم يكن أمامه إلا اللجوء إلى دموعه التي شبهها بالفيضان (كناية عن غزارتها) لعلها تخفف عنه ، وجمع كلمتي (الأشجان ، والمدامع) للدلالة على كثرتها وتتابعها ، وهكذا انقضى عمره بين الشكوى والأنين ، وهذا دفعه إلى سؤال حاضره عن أمسه الذي تولى في قوله[(٣)] :

أَسألُ الحاضرَ عن أمسِي فيردُّ ويُجري زفَراتِي
وأَرى الأيامَ من عمري ، وقد ضاعتْ هباءً في الشّكاةِ
من همومٍ أَعَشَتْ الطرفَ وَأَدمتْ بالمآسِي خَلَجاتِي

(١) اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، حسن فهد الهويمل، نادي القصين الأدبي ببريدة، ١٤٠٤، ط١ :٢٣١
(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٧٨.
(٣) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٢٦.

ويكشف هذا السؤال عن تشتت الشاعر واختلاط مشاعره؛ لتتابع المحن والأزمات في حياته، وباتت الزفرات والمآسي ملازمة له، وتتابعت الألفاظ الدالة على الحزن والألم (زفرات وضياع وهباء والشكوى والهموم وأدمت المآسي) وتمت صيغ الجموع (زفرات وهموم والمآسي) صورة كآبة حاضره، ونتج عن ذلك إحساسه بالمرارة بحيث بات كما صوّر[١]:

وقدْ كنتُ أمشي والحرائقُ في دمِي تعيثُ بأوصالِي وتُجري المَآقيَا

قوله (الحرائق في دمي) عن عمق ألمه، وأكدّ هذا المعنى جمْعه لكلمة (الحرائق) التي صوّرها تجري في دمه، وإزاء ذلك لم يكن أمامه إلا اللجوء إلى دموعه (تجري المآقيا) لعلها تخفف مما حلّ به. ودلّ الفعل المضارع (تجري) على استمرارية الألم والمعاناة، وصوّر قوله (تعيث) كأن الهموم والمتاعب تهزأ به، ولا تأبه لألمه، والدليل تتابعها واستمراريتها.

ويزداد إحساسه بالآلام ليلا كما صرّح في قوله[٢]:

فإذَا أطبقَ الظلامُ عليْهَا حرّكت فيَّ نائحاتِ الأنينِ

فالليل مدعاة الراحة والسكينة يتحوّل إلى باعث للألم والحزن، وشخّص الأنين بكائن حي ينوح كناية عن عميق حزنه، وارتفاع صوته يدل على شدة الحزن والتأثر، وجمْع كلمة (نائحات) يدل على شدة الألم الذي منعه من النوم، كما يتضح من قوله[٣]:

---

(١) السابق:٦٢٩.

(٢) السابق:٦٢٧.

(٣) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٢٨.

أرَّقَتْـــه الشـــجونُ في حُلكـــةِ اللَّيْـــلِ وأَجْـــرت عُيونَـــه بالشـــؤونِ
وأذابـــتْ نيـــاطَ قلـــبٍ مـــن اللوعـــةِ قَـــدْ جَـــاشَ فيضُـــه بـــالحنينِ

ويكشف البيتان السابقان عن معاناة الشاعر ليلا وفق الآتي:

شدة الظلام + أرّقته الشجون = جريان الدموع.

شدة الحنين+ اللوعة = إذابة القلب.

واجتمعت ألفاظ (الشجون والشوؤن واللوعة) للدلالة على شدة الحزن والمعاناة، وماذا عساه يفعل إزاء ذلك!

ولجأ إلى النجوم لعله يجد عندها سلوى وملاذا لما حلّ به فخاطبها قائلا[١]:

وأيـنَ ألقـاكِ والـدنيا علـى سَـعةٍ ضَـاقَتْ بمـا رَحُبَـتْ في طـرفيَ البـاكِي؟
يرجـــــو بآهـــةِ مـــــحزونٍ ممزقـــةٍ أنْ يستـــــريحَ مـــن الشَّـــكوَى بلقيـــاكِ

وجاءت صرخته الصادرة من أعماقه (وأين ألقاك) لتعبر عن فقدانه للأنيس والنصير، ومما لا شك فيه أن الدنيا على سعتها تضيق على المهموم والمحزون – كما بيّن- وما اجتماع ألفاظ (الضيق، والبكاء، والآه، والحزن، والتمزيق، والشكوى) في البيتين السابقين إلا دليل على أن الحزن والأسى بلغ مبلغه في نفس الشاعر، وهل يستطيع النوم مَنْ كان هذا حاله؟ بل بات الأرق سميره كما يفهم من قوله[٢]:

وتهتـــفُ بِـــي الآلامُ كيمـــا تزِيـــدنِي عَـــذابًا فـــأَلقَى في السُّـــــــهادِ عَزائِيَـــا
أَجُـــوبُ بـــه ســـودَ اللَّيـــالِي وخـــافقي إلى مَـــذْبحِ الأشـــجان يَزْحـــفُ وانيَـــا

(١) السابق:٦٧٥.

(٢) السابق:٦٣٠.

ويكشف قوله السابق عن عن غربته وانكفائه على نفسه، داخل شرنقته يجترّ ألمه وأحزانه، والمفارقة في تحوّل السهاد من شيء غير مرغوب فيه إلى مرغوب فيه؛ لأن الشاعر وجد فيه سلوى لنفسه المتعبة من اجتماع الأحزان والهموم، ووصف الليالي بالسود ليجسّد مقدار معاناته التي لا أمل في انتهائها، ونتيجة لذلك أصاب الوهن والضعف قلبه الذي صوّره يُقاد إلى المذبح ليذبح، وقد صوّر جرحه يصرخ من شدة الألم في قوله[1]:

ويصرخُ جرحي من لظَى في أضالِعي شظاياه آهاتٌ تجوبُ الليالِيَا
يضيقُ مدَى الليلِ الطويلِ بِشِقْوَتِي فأَندبُ في أطرافِه سوءَ حالِيَا

ويدل تعبيره بالأفعال المضارعة (يصرخ، ويضيق، وتجوب، فأندب) على استمرارية الألم وتجدده، ووصّفت ألفاظ (يصرخ، وجرح، ولظى، وآهات، وشقوتي، وأندب، وسوء) حاله خير توصيف، وجاءت الضمائر في (جرحي، وأضالعي، وشقوتي، وحالي) لتصوّر الآلام وكأنها اختصت به وحده؛ لتزيد في ألمه، كما أنه بيّن أنّ أحزانه تتجدد ليلا، مما جعل ليله ونهاره يتساويان في الألم والمعاناة، وهذا دليل تمكّن الحزن من قلبه، ولم يعد يتوقع من دنياه إلا المزيد من الشقاء والألم كما صوّر قوله[2]:

بل أنا واجِمٌ تُعِدّ لِيَ الأَيَّامُ مِنْ وَخْزِهَا شَقاءً جَدِيدَا

بؤس حاضره، وعجزه عن تغييره، وأدّى هذا الإحساس إلى استسلامه، ودلّ تنكير كلمة (شقاء) على التكثير والتعميم؛ ليشمل كل أنواع الشقاء التي يمكن

(١) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٣.
(٢) السابق:٦٧٨.

توقعها، ونتج عن ذلك تصويره لنفسه مكبّل اليدين، تجثم الأحزان فوق صدره، كما اتضح من قوله[١]:

فقيـــودُ العـــيشِ أَضْـــنَتْ كَبـــدي بعْـــدَ أَنْ غَالـــتْ زفـــيرِي وشـــهيقِي
جَلْجَلـــتْ بالويـــلِ حـــولي بعـــد أَنْ أَثْخَنَـــتْني بجـــروحٍ وحُـــرُوقِ

والإثخان يدل على كثرة الجراح التي رافقها كما قال(حروق) كل ذلك يشي بشدة الألم والمعاناة، وأكدّ هذا المعنى جمعه وتنكيره لكلمتي (جروح وحروق) وعبرّ الفعل (جلجل) عما في داخله من ألم وحزن وغصّة.

وصوّر الدنيا تبتليه بأنواع من الهموم والابتلاءات التي جسّدها بصورة السد المنيع الذي يقف أمامه، ويمنعه من فعل أي شيء في قوله[٢]:

تترامَـــى بـــيَ المســـالِكُ في دنيَـــا أَقامَـــتْ مـــن المآسِـــي حُـــدودَا

وعلى الرغم من سعة الدنيا وترامياها، إلا أنه يشعر أنها ضيقة عليه، وهذا هو شأن المغترب في الحياة، مما جعله يشبّه نفسه بالملاح التائه في بحر متلاطم الأمواج في قوله[٣]:

وأَنَـــا غـــارقٌ أُجـــدِّفُ في بحـــرٍ ترامـــتْ بـــه المواجُـــعُ سُـــودَا
بـــلْ أَنَـــا تائـــهٌ يميـــلُ بـــيَ الـــدربُ لأَبْقَـــى علـــى مـــداهِ شـــرِيدَا

ووصف مصائب الحياة بالسود إمعانا في إبراز ألمه، وعبّر بالجملة الاسمية (أنا غارق، وأنا تائه) للدلالة على ثبوت هذه الحالة وديمومتها، أي حالة الحيرة مما حلّ به،

(١) السابق: ٧٠٦
(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٧٧.
(٣) السابق:٦٧٧.

ونتج عن ذلك أنه يعيش شريدا ووحيدا في هذه الحياة، وانطفأت كل آماله، بدليل قوله[١]:

أخرسَتْ مِعزفي الشُجونُ فقلبِي نَغَمٌ ضَاع في الأنينِ صَدَاه

ورسم الشاعر صورتين متقابلتين: الأولى لحاضره مذكورة صراحة في النص، والثانية لماضيه تُفهم ضمنا، كشفت عنه لفظتا (معزف ونغم) فماضيه كان ذات يوم مليئا بالأمل والتفاؤل والإقبال على الحياة، لكن تتابع الأحزان في حياته قضى على أحلامه الجميلة، ونتج عن ذلك سيطرة اليأس عليه كما صرّح في قوله[٢]:

أَجُرٌ ذيولَ اليأسِ في كلِّ مَهْيَعٍ يُنِير حَفَافِيها الشَقاءُ المصوَّبُ

ودلّ التعبير بالفعل المضارع (أَجُرٌ) على تجدد الألم واستمراريته هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبرز شدة الألم. وعندما يقرأ المتلقي قوله(ينير) يتبادر إلى ذهنه لأول وهلة أن بصيصا من الأمل يلوح بالأفق، وسرعان ما يتلاشى هذا الإحساس عندما يقرأ قوله (الشقاء المصوب) وكأن هذا الشقاء لا يجد في هذه الدنيا إلا الشاعر ليختصه بمزيد من الألم.

وسيطر عليه كذلك إحساس بعدم المبالاة لما يحدث له كما أفصح قوله[٣]:

وأَضْحكُ للتيارِ وهو يَقُودُنِي إلى غَوْرِ لُجٍّ لَيْسَ لي فيه مَذْهَبُ

(١) السابق:٦٢٣.

(٢) السابق: ٧٠٧.

(٣) ا مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٧٠٧.

ولا يمكن للمرء أن يضحك لما ينزل به من مصائب، لولا أنه فقد أي أمل في الخلاص مما هو فيه وبدا مستسلما، لا حول له ولا قوة، والتيار يقوده إلى هوّة عميقة، وكأن الدنيا تلهو به بدليل قوله[١]:

فالسُّكونُ الذي تَجسَّد حَولِي يتلهّى بِثَائِراتِ شُجونِي

وبيّن الشاعر أنّ كل ما يحيط به يجلب له المزيد من الألم والشقاء، مصوّرا النيران

تشتعل في صدره، كما في قوله[٢]:

وَقْدٌ يُزَمْجِرُ في الضلوعِ، وباللظَّى الآلامُ تَزْأرُ في كِيانِي

وتظاهرت الجملة الاسمية مع الجملة الفعلية في البيت السابق للدلالة على ثبات حالة الألم والمعاناة واستمراريتها، أما الفعلان (يزمجر، وتزأر) فيعبران عن شدة الألم الذي لا يُحتمل، ولم يجد له نصيرا إلا البكاء كما في قوله[٣]:

فلقدْ قرّحَتِ اللَّوعةُ آمَاقِي فجَاشَتْ بالبكاءْ

وتعثَّرْتُ بما كَبَّلَ من خَطْوِي وزادَ البُرحَاءْ

ولم يعد أمام الشاعر إلا مخاطبة الدهر، طالبا منه الرأفة بحاله، والكف عن إلحاق المزيد من الأذى به في قوله[٤]:

حنَانِيكَ يا دَهرِي فمَا زلتُ بالذي أعاني رضيًّا، والهوى فيّ مُخْصِبُ

---

(١) السابق:٦٢٧.

(٢) السابق:٦٨٢.

(٣) السابق: ٦٦٧.

(٤) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٧٠٧.

وبذا يكون الشاعر قد صوّر الدهر متحكما في حياته، ولا يمكنه فعل أي شيء أمام قوته وسطوته، وعلى الرغم من هذا فإنه لم يحمّله مسؤولية ما حلّ به من أحزان، ولم يشكُ منه أو يتذمر فيناجه ثانية في قوله(١):

حنَانيكَ يا دهرِي ودَعْ ليَ مِزْهَري لأَنَّي لِلآلامِ مَلْهَى ومَلْعَبُ

طالبا منه الرأفة بحاله مشبها نفسه بملعب للآلام، كناية عن عجزه وضعفه؛ لتتابع الأحزان في حياته.

وأصبحت أمنيته في الحياة ومطلبه تنحصر في العثور على مكان يستريح فيه من متاعب الحياة وهمومها، كما يتضح من قوله(٢):

فمَنْ لي بِفَيءٍ أسْتَريح لظلِّهِ ومَنْ لِي بِصُبحٍ فَجرهُ ليْسَ يَكْذِبُ

وقَدْ عُدْتُ في كفيَّ تَنْدَى بقيةٌ من الأَملِ المَنْشُودِ يا ليتَ تُخْصِبُ

وبرغم بساطة هذا المطلب فإنه بدا فاقد الأمل في تحققه، بدليل الاستفهام في مفتتح البيت (فمن لي) وتذييل البيت بـ(ليت) التي تدل على طلب المحال.

ثالثا: الهروب إلى الآمال والمنى:

ومن مظاهر اغتراب الشاعر، هروبه إلى الآمال والمنى؛ لعلها تخفف من وطأة الحاضر عليه، ولعله من باب التعويض النفسي يلوذ بالآمال والأماني كلما زادت الآلام؛ لأنها تشعره بالمسرة بدلا من كآبة الحاضر، كما أنه لا يستطيع فعل أي شيء إزاء الأحزان والمعاناة؛ فليس أمامه إلا أن ينطلق بخياله مع آماله وأمنياته، وكما يقول

(١) السابق:٧٠٧.

(٢) السابق:٧٠٨.

عز الدين إسماعيل: يحقق العمل الفني من الرغبات المكبوتة في اللاشعور ما يحققه الحلم[١]؛ وجاء قوله[٢]:

وفي يميني آمالٌ مُجَنّحَةٌ نَشْوَى أُطَالِع في لَأْلائِها عيدي

ليظهر استبشاره بالآمال والمنى؛ لعله يجد فيهما إشراقة تقضي على كآبة حاضره، ويستمد منهما القوة والعون على تحمل المصائب والشدائد التي تتابعت عليه، ووصف الآمال بـ(المجنحة والمشرقة) للدلالة على أنه يعوّل كثيرا عليها.

وحلّق مع المنى والآمال راسمًا عالما متخيلا مليئا بالبهجة والمسرة، وكأنه يرى أن الحلم والخيال يمكن أن يحققا ما يعجز زمن اليقظة عن تحقيقه[٣]، كما في قوله[٤]:

والمُنَى تَغمرُ آفاقَ الدُنَى بتباشيرِ صباحٍ مُسْعِدِ
تَرقُصُ الفرحةُ في أكنَافِهِ وهو يمشِي بخُطَى المتَّئِدِ

متخيلا الأماني تتحقق، وينعكس ذلك على الكون الذي بدا فرحا ومبتهجا ومتجاوبا مع الشاعر في إحساسه، فشخّص الصباح بكائن حي يجلب المسرة، وفعل الفعل نفسه مع الفرحة التي صوّرها ترقص فرحا لتحقق الأمنيات، وتوالت الألفاظ الدالة على الأمل والتفاؤل والمسرة (تباشير ومسعد، وترقص الفرحة).

وتخيل الآمال كالأزهار تنشر شذاها في كل مكان في قوله[٥]:

---

(١) التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م: ٤٥.

(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٤٤.

(٣) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د.ت:٢٧٦.

(٤) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦١٧.

(٥) السابق: ٧٠٩.

والأمـــاني العِـــذَابُ تَضْـــحَكُ كالأزهـــارِ يَنْـــدَى خمَيلُهـــا بـــالعطورِ
وطيـــوفُ الجمـــالِ تُرْفُـــل في البِشْـــرِ وروضُ المُنَـــى زَكِـــيٌّ العَـــــبيرِ

وامـتلأ البيتـان بالألفـاظ الدالـة علـى السـعادة والراحـة والطمأنينـة والأمـل (تضحك، والأزهار، والعطور، والجمال، وزكي العبير) وكـل هـذا يعكس إحساس الشـاعر بالبهجـة والسـرور، ولعلـه مـن بـاب التعـويض النفسـي، بـالغ في رسـم هـذه الصورة المشرقة ، لذلك عندما رأى مواكب الآمال والمنى تتابع أمامه عاد إلى قيثارته التي حطمها اليأس عازفا أعذب الألحان، كما أفصح قوله[١] :

أرى فيـه آمـالي العِـذَاب مَواكبًـا تُصـفقُ مـن حـولِي وتُجِـري القـــوافيَا
فَعُـــدْتُ لقيثـــارِي المحطَّـــمِ بالأَسَـــى ليسْـــكبَ أَفْرَاحِـــي فغَّـــردَ شـــاديَا
وراحَ يـذيعُ اللحـنَ في معبـد الهـوى ويصـدحُ بالنجـــوى فطـابَ غنائيـا

واسترسل الشاعر مع أحلامه وآماله في قوله[٢]:

وأَنَـــا في الصَّـــمتِ أَشـــدو لمنـــى خطـــرتْ نفاثَّـــةً في العُقَـــدِ
سِـــحْرُها يجمـــعُ أطـــرافَ المـــدى في شـــفيفٍ مـــن ضـــياءٍ عَسْـــجَدي
في حـــــواشِيه المَنَـــى فاتنـــة تتهـــادَى في وشـــاحِ الغيـــدِ

ليرسم عالما متخيلا مشرقا ؛ ليخفف من وطأة أحزانه، وليقضي على كآبة حاضره.

وباجتماع كل ألوان السرور والبهجة في الأبيات السابقة، لا بد أن يأتي الربيع الذي تزدان به الدنيا كما صوّره في قوله[٣] :

فإذَا الدنيَا ربيعٌ ضاحكٌ بأَزاهيرِ الأَمـــاني الجُـــدُدِ

---

(١) مجموعة النيل، طاهر زمخشري: ٦٣٠.
(٢) السابق: ٦١٩.
(٣) السابق: ٦١٩.

وإذَا بِي في مَدَى أَفيائِهِ أُرْسِلُ الطَّرفَ مَشوقًا لِغَدي شخّص الربيع، مضفيا عليه من صفات الكائن الحي، زيادة في إبراز البهجة التي ملأت نفسه، مما جعله يحلم بالغد المشرق المملوء بالأمل، وينسى ما اعتراه من ألم وحزن، وما اختياره لفصل الربيع إلا دليل على رغبته الدفينة في عودة البهجة إلى حياته، وهذا ما بات يفتقده في حاضره. وتمم قوله[١]:

ومزاهـــرُ الأَمَـــلِ المصـــفّقِ بالرغـــابِ يجـــودُ بـــالغُرَرِ الحِسَـــانِ
فـــإِذَا بأَيَّـــامي يَطـــوفُ بهـــا الهَنـــاء فـــلا أُحِـــسُّ بمـــا شَـــجانِي

مظاهر البهجة التي تخيلها تملأ حياته، وشخّص الأمل بكائن حي يصفّق كناية عن السعادة والفرح. ولكن هذه الآمال سرعان ما تخبو، ويعود الشاعر إلى واقعه المؤلم، كما اتضح من قوله[٢]:

ولـي روضـةٌ قـدْ كنـتُ أَسْـقِي غِرَاسَـها بـأَغَلى دمـائِي والـدمُ الحـرُّ صَـيِّبُ
زرعـتُ الأَمَـانِي البـيضَ في جَنَباتِهـا وراحَ خيـالي في رُؤاهَـا يُشَـذِّبُ
جَنَيْـتُ ثِمـارَ الجَهْـد مِنْهَـا فواجعًـا رجعـتُ بهـا والعمـرُ ضَـحْلٌ ومُجْـدِبُ

ورسم الشاعر صورتين متقابلتين: الأولى تمثلت في الروضة التي سقاها بأعز ما يملك، والثانية جسّدها في جني الفواجع بدلا من جني الثمر واصفا عمره بالمجدب، وهذا تصوير لحياته في ماضيها وفي حاضرها.

وحاول التماسك والتجلد أمام خيبات الأمل التي تتابعت في حياته في قوله[٣]:

---

(١) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٨٢.
(٢) السابق: ٧٠٨.
(٣) السابق:٦٧٨.

ولئن عائتْ الهمومُ بآمالي فما زلتُ أَسْتَطيبُ الصُّمُودَا

مصوّرا وجود صراع بينه وبين الهموم فكلما زادت في حياته ازداد هو إصرارا على الصمود والتغلب عليها، مستعينا بالصبر، كما اتضح في قوله[١]:

وأُضَمِّدُ الآلامَ بالصَّبرِ الجَمِيلِ يقُودُ خَطْوِي للأَمانِ

وشخّص الصبر بكائن حي يقوده إلى بر الأمان، وأصبح الصبر حالة ملازمة له، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، دفعته كثرة الآلام في حياته إلى أن يلوذ بالصبر إذ لا خيار له إلا الصبر الذي شبهه بالضماد الذي يداوي الجراح، ووصفه بالجميل تأسيا بيعقوب- عليه السلام- في محنته.

ولكن إلى أي مدى يستطيع الصمود والتحمل! وهذا ما عبّر عنه في قوله[٢]:

أمانيّ في كفِّ الزَّمانِ وعود بإِخْلافِها الصبرُ الجميلُ جديدُ

فإنْ سَاءَني دَهرِي بما لستُ أَشْتَهِي فقَدْ سَرّهُ أَنَّ العرامَ شَدِيدُ

وشأن الدهر دوما إذا أحسن للإنسان مرّة فإنه سرعان ما يجلب له الأحزان، وشخّصه بكائن حي يُسَرّ بما حدث له من أحزان، وهذا يكشف عن تضاؤل أمله في تحسن الحال، على الرغم من صبره الجميل.

وخلاصة الأمر، لم تعد الآمال والأماني تجلب له المسرة، ولم يكن أمامه إلا العودة إلى الواقع المؤلم، والانكفاء على نفسه كما صرّح في قوله[٣]:

وَقَدْ عُدْتُ في كفيَّ تَنْدَى بقيةٌ من الأملِ المنشودِ يا ليتَ تُخصِبُ

---

(١) السابق:٦٨٢.

(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٣٩.

(٣) السابق:٧٠٨.

والمعروف أن (ليت) تعني طلب المحال، وبذا تلاشى الأمل في حياة الشاعر.

رابعا: الهروب إلى الخيال والطيف:

ومن الوسائل التي لجأ إليها الشاعر للتخفيف من وطأة حاضره الكئيب، استعانته بالخيال والطيف، لعله يجد فيهما مُعينا له؛ للتغلب على ما حلّ به من مِحن كما اتضح من مناجاته للطيف في قوله[١]:

وأَهتِفُ بالطيوفِ تَمُدُّ حَوْلي ظِلالاً في غلائِلَ من رُؤَاه
تُنَاغِمُني بأَجملِ ذكرياتي وأَحْلَى الأمنياتِ على ذرَاه

فهو لجأ إلى الطيوف لأنها تذّكره بأجمل الأمنيات، مما يجلب له المسرة والفرح.

وحمّل الشاعر الطيوف أجمل رسائله؛ لأنه وجد فيها السلوى التي كان يبحث عنها، ولم يجدها في الأحياء، يتجلى ذلك في قوله[٢]:

يا طيُوفِي التي لها أُرْسِلُ الشعرَ فينسَابُ فَيْضه من شُعورِي
من حنايا ما زِلتُ أَحْبِسُ فيها الشجوَ لكن يَشِفُّ عنه زفيرِي
من دمائِي التي يَضِجُّ بها الحبُّ ويلهو بخافِقِي في السَعِيرِ

وبرغم أنّ الشاعر لجأ إلى الخيال ومخاطبة الطيف، فإنه لم ينسَ قتامة حاضره بدليل أنه حمّل رسائله إلى الطيوف؛ لتعبّر عما في داخله من أحزان شبهها بالنيران المشتعلة في قلبه.

وباتت الطيوف رفيقة الشاعر في لياليه يناجيها في قوله[٣]:

---

(١) السابق: ٦٨٤.
(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٧١٩.
(٣) السابق:٦٩١.

وتَمَلْمَلْـــتُ في فراشِـــي مـــن الإِجهـــادِ واللَّيـــلُ حالِـــكُ السِّـــرْبَالِ
رَقَصَـــتْ في ثنايـــاكِ أفكـــارِي وراحَـــتْ تســـوحُ بـــي فِـــي الخَيَـــالِ
وتَرَفَّقْـــتِ بـــي فلاحَـــتْ بأَطرافِـــكِ أطيـــافُ ذكريـــاتي الغَـــوالِي

وتضمنت الأبيات السابقة صورتين متقابلتين: الأولى من حاضره وما فيه من معاناة وألم، والثانية من وحي خياله حمّلها كل ما يجيش في نفسه من آمال وأحلام.

ولئن جلبت الطيوف الراحة للشاعر، إلا أنها كانت راحة مؤقتة، سرعان ما تغلّب عليها الواقع بكآبته كما اتضح في قوله[١]:

كلمّـــا طَـــوَّف الخيـــالُ بوادِيـــه ترامـــتْ زوافِـــري في مـــــداهُ
يَسْـــألُ الأفـــقَ عـــن طيـــوفِ الأَمَـــانِي أيـــنْ غَابـــتْ وأحـــرمتني رؤاه؟!

وألفاظ (زوافر والحرمان والغياب) تدل على أنّ حاضر الشاعر بمآسيه قضى على لحظات السعادة المتخيلة التي عاشها. بل إنه بات لا يرحّب بالطيف ويشيح عنه في قوله[٢]:

وألَمـــح مـــن وراء الأُفـــقِ طيفًـــا تُسَـــاوِرُني متَـــى يبـــدُو الظُّنـــونُ
فـــأُغْمِضُ نـــاظري وأُشِـــيحُ عنـــه فيرجعُـــني إلى النَّجْـــوَى الحـــنِينُ

فهو كان يؤمل أن يجلب الطيف له المسرة، إلا أنه لم يستطع أن يبعث الأنس في نفسه.

واكتشف أنه يخاطب السراب الذي قضى عمره يبحث عنه كما اتضح من قوله[٣]:

---

(١) السابق:٦٢٣.
(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري: ٦٣٨.
(٣) السابق: ٦٧٧.

يـــا سَـــرَابًا طويـــتُ عمـــريَ أَقْفُـــوه وأَخْطـــو علـــى القَتَـــادِ جَليـــدَا

مشبها نفسه بمن يمشي على الأشواك، وفي هذا كناية عن سوء حاضره؛ فليس من المستغرب إذن أن تنحصر أمنياته في الحياة في العيش وحيدا في الغاب حيث البساطة في أحضان الطبيعة، إذ يجد فيها أما رؤوما تحنو عليه، فينداح في أحضانها [(١)]، كما صرّح [(٢)]:

مُنَـــى نَفْسِـــي بـــأَنْ أَحيَـــا وحيـــدًا أُطَـــوِّفُ في مَـــدى أَحْـــراشِ غَابْـــه
وأَنْعَـــــمُ في مراتِعِهـــــا بِفَـــــيْءٍ ظليـــــلٍ لا تُجَلّلـــــه كآبْـــــه

لأنه وجد فيه سلوى لنفسه من الهموم التي أثقلته، واسترسل الشاعر مع أمنياته، ورسم عالما جميلا متخيلا لحياته في الغاب في قوله[(٣)]:

فَرِحًـــا أرَكـــضُ في أدغالِـــه كـــلُّ همّـــي في غـــروبٍ أَو شـــروقٍ
وحَوَالَيْنـــا ربيـــعٌ مُـــورِقٌ يسَـــكبُ العطـــرَ ويزهُـــو بـــالبروقِ

وهو في حاضره يفتقد لحظات السعادة هذه، ويشعر بحنين لها، وفي الوقت نفسه سيطر عليه إحساس بالندم؛ لأنه فرّط في الغاب، مشبها نفسه بالغريق الذي يتشبث بآخر أمل له في الحياة، بدليل قوله[(٤)]:

ليـــتْني يـــا ليتنِـــي لمْ أفْتقِـــد عَـــالمَ الغَـــابِ ولم أُعْلِـــن عُقُـــوقِي
ليتْنِـــي في الغـــابِ إنِّـــي بالأَسَـــى ضَـــائقُ الـــنَّفسِ فَرحمَـــى بـــالغَرِيقِ

(١) ينظر: الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينات الهجرية، محمد حمود محمد حبيبي، :١٣٦، في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، عبدالله الحامد :٢٤٦.

(٢) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٧٠١.

(٣) السابق:٧٠٥.

(٤) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٧٠٦.

وجاء تكرار(ليت) ثلاث مرات في البيتين السابقين ؛ ليصّور مقدار اليأس الذي سيطر عليه، وهذا الإحساس يلتقي مع وصف أبي حيان للغريب في قوله[١] :

ويـــــدُ الغريـــــبِ قصـــــيرة ولســـــانُه أبـــــدا كليـــــل
والنـــــاسُ ينصـــــرُ بعضـــــهُم بعضـــــا وناصُـــــره قليـــــل

خامسا: الهروب إلى الماضي والذكريات:

يمثل الهروب إلى الذكريات مظهرا من مظاهر اغتراب الشاعر، فهو اكتشف أنّ العيش في الخيال لم يحقق له مراده، فاتكأ على ذكرياته لعله يجد فيها السلوى التي يبحث عنها، ولا " يمكن للشاعر أن يرى الحاضر إلا من خلال المكان والناس، وإلا من خلال عمره، ومدى تجربته مع الماضي وتصوره للمستقبل"[٢].

لجأ الشاعر إلى ذكرياته في الماضي لنسيان مرارة واقعه في قوله[٣] :

ذكريـــاتُ الأَمْـــسِ تَشْـــدو والصَّـــدَى رَجْـــعُ أَنفَـــاسِ شـــجيٍّ غَـــرِد
ورؤَاهـــــا لم تـــــزلْ مـــــشرقةً تـــــتراءَى لعـــــيونِ المسْـــــهدِ

مشبها الذكريات المحببة إلى نفسه بالطائر الذي يغرد أعذب الألحان، وصداه ما زال يتردد في سمعه، ويعيد إليه ما بات يفتقده في حاضره من فرح وبهجة لأن ماضيه كان كما وصف[٤] :

---

(١) الإشارات الإلهية، تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، د.ت، ١: ١٣٣.

(٢) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ،٢٤٩.

(٣) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦١٧.

(٤) مجموعة النيل، طاهر زمخشري:٦٨٤.

وكـــانَ صِـــبَايَ يخَطـــرُ في ربيـــعٍ يُبَـــــــعْثِر في جوانِبِـــه شَـــذَاه
وفي أكْنَافِـــه رَقصَـــتْ عَـــروسٌ كسَـــاهَا الحســـنُ وشْـــيًا مـــن حُـــلاَه
أُعاطيهـــا الهَـــوى خمـــرًا حَلالًـــا فينـــــــضَحُ بالبشَاشَـــةِ جانِبَـــاه

مشخّصا صباه بكائن حي يمشي فرحا ومنتشيا يعيش أجمل لحظات حياته، ورسم الشاعر صورة لصباه تفيض بالبهجة والمسرة، وما اختياره لألفاظ (ربيع وعروس والحسن والوشي) إلا لتقرير هذه الحقيقة.

والتعلق بالماضي يكشف عن رفضه لواقعه؛ لما فيه من حزن وألم وثقل على نفسه؛ لذا كان يستمد من هذه الذكريات قوته وصلابته بدليل قوله[(١)]:

لم تـــزلْ تُـــومضُ في جُـــنْحِ الـــدُّجَى لُخطـــى السَّـــارِي لنيـــلِ المقْصَـــدِ
وهـــو يجَـــــــتَازُ المسَـــافَاتِ إلى أُفْقـــهِ الضَـــاحِي بنـــورِ الفَرْقَـــدِ

مشبها نفسه يسير وسط الدجى وذكرياته هي النجم الذي ينير هذا الظلام، وهذا يكشف عن جمال ماضيه وذكرياته، وفي الوقت نفسه يبين سوء حاضره.

ولم يغب عن خاطره صورة النجوم التي كانت تبعث في نفسه الأمل في قوله[(٢)]:

والنُجـــوم الزُّهْـــرُ حـــولي دُررٌ قَـــدْ تحلَّـــى بِسَـــناهَا مقْعَـــدِي

راسما صورة تفيض ضياء وبهجة، بدليل اجتماع ألفاظ(نجوم وزهر والدر والسنى) .

---

(١) السابق: ٦١٨.

(٢) السابق:٦١٨.

ويشعر بالحنين إلى الأماكن التي كان يتردد عليها في طفولته، من هنا توجه لمخاطبة الجبل في قصيدته التي أسماها بـ"بجبل الأحلام"[(١)]:

فَبـــــالأَحلامِ تُسْـــــعِدني رُؤَاه ويَـــــدفعُنِي الحـــــنينُ إلى ربُـــــاه ..!!

حيـــــث كـــــان يقضـــــي أجمـــــل لحظـــــات عمـــــره في ربـــــاه.

ولكن هذه الأيام الجميلة ضاعت ولم يعد لها وجود، وصورّها تعيش في كهوف عميقة بعيدة عنه كما اتضح من قوله[(٢)]:

بأيـــامٍ تَـــوَارتْ في كهـــوفٍ مـــن الماضِـــي وضَـــاعَتْ في مَـــدَاه

بل أصبحت الذكريات التي ظن أنها سوف تنسيه واقعه المؤلم، وحققت له إحساس بالسعادة في بادىء الأمر إلا أنها أرجعته إلى الماضي، وجعلته يستحضر أحزان الماضي وألمه، كما يتضح من قوله[(٣)]:

ذكريـــاتُ الأَمـــسِ في الماضِـــي الـــذي مَـــزَّق العُمْـــرَ وأَوهَـــى جَلَـــدِي

تاركا لإيجاز القصر في (مزّق العمر وأوهى جلدي) التعبير عن مرارة الماضي الذي ظهرت أيامه بقوة أمام ناظريه، مما زاد في ألمه ومعاناته، ولم تعد تجلب له المسرة كما صرح في قوله[(٤)]:

عـــدتُ لا أَسْـــأَلُ عـــنْ أَمْسِـــي فـــلا يحنُـــو ولا يَأْسَـــى لمـــا بِـــي

---

(١) مجموعة النيل، طاهر زمخشري :٦٨٤.

(٢) السابق:٦٨٤.

(٣) السابق:٦١٨.

(٤) السابق:٦٩٦.

ومما سبق يتضح أنّ هروب الشاعر إلى ماضيه لم يحقق له السعادة التي يبحث عنها، ولم يشعره بالراحة التي يتوق إليها، بل أصبح مبعثا لمزيد من الأحزان؛ لأن الذكريات الجميلة التي تداعت إلى خياله لم يعد لها وجود في حاضره المؤلم، إذن فليبقَ في الحاضر حتى لا يزيد كآبته كآبة.

وخلاصة القول: نجح الشاعر في رسم صورة ملأى بالحزن والأسى لاغترابه، وهذا التوصيف يلتقي مع ما ذكره أبو حيان التوحيدي عندما وصف الغريب بأنه مَن" اكتنفته الأحزان من كل جانب، واشتملت عليه الأشجان من كل حاضر وغائب، وتحكّمت فيه الأيام من كل جانب وواهب، واستغرقته الحسرات على كل فائت وآئب، وشتته الزمان والمكان بين كل ثقة ورائب، وفي الجملة أتت عليه أحكام المصائب والنوائب، وحطته بأيدي العواقب عن المراتب"[(١)].

(١) الإشارات الإلهية، تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بدوي: ١: ١١٥.

الخاتمة

وبعد التطواف في ديواني (عودة الغريب، ألحان مغترب) للشاعر طاهر زمخشري يتضح ما يلي:

١- بروز ظاهرة الاغتراب في شعر الشاعر، وتمثلت في نوعين:

اغتراب (ذاتي): نتيجة للظروف الحياتية التي عاشها. واغتراب (مكاني): تمثل في بعده عن الوطن إذ عاش حياة التنقل والسفر من بلد إلى آخر (مصر، ولبنان، وتونس، والأردن، والمغرب) التي قضى فيها شطرا من حياته.

٢- تجلى اغتراب الشاعر في اختياره عناوين ديوانيه، وتسميته لنفسه بالغريب تارة، وبالمغترب تارة أخرى.

٣- هروب الشاعر مع آماله وأمنياته مظهر من مظاهر اغترابه وضيقه بعالم الواقع.

٤- انطلاق الشاعر على أجنحة الخيال والطيف- بحثا عن الراحة النفسية- مظهر آخر من مظاهر اغترابه وضيقه بحاضره الكئيب.

٥- هرب الشاعر إلى الماضي متعلقا بذكرياته لنسيان الواقع المؤلم، وبحثا عن الراحة والسعادة، وهيهات للماضي أن يعود، أو أن يتفوق على كآبة الحاضر.

المصادر والمراجع:

[١] الإشارات الإلهية، تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، د.ت.

[٢] الإلهام والأصالة في شعر طاهر زمخشري، د.مريم سعود عبد العزيز أبو بشيت، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ط١، ١٤٣٥ ه.

[٣] الاتجاه الابتداعي، في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينات الهجرية، محمد حمود محمد حبيبي، الرياض، ط١، ١٤١٧ه- ـ١٩٩٧م.

[٤] اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، حسن فهد الهويمل، نادي القصيم الأدبي ببريدة، ط١، ١٤٠٤.

[٥] الاغتراب، ريتشارد شاخت، ترجمة: كامل حسين، دار مشرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٥م.

[٦] الاغتراب" سيرة مصطلح"، محمد رجب، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م.

[٧] الاغتراب في الشعر الأموي، د. فاطمة محمد حميد السويدي، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٧م.

[٨] الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، أحمد عودة الله الشقيرات، دار عمار، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٧م.

[٩] الاغتراب والإبداع الفني، محمد عباس يوسف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م.

[١٠] الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات الصحة النفسية لدى الطلاب اليمنيين في جمهورية مصر العربية، أحمد محمد أحمد الجرموزي، ١٩٩٢م.

[١١] الانتماء والاغتراب "دراسة تحليلية" حسن عبد الرزاق منصور، دار جرش، خميس مشيط، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

[١٢] التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

[١٣] الحنين إلى الوطن في الشعر العراقي الحديث عبد المحسن الكاظمي مثالا، سعاد محمد الزبيدي، ط١، دار الحكمة – لندن، ٢٠٠٩.

[١٤] الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، ط٦، دار العودة- بيروت، ١٩٨١.

[١٥] الرومانسية في الشعر السعودي الحديث، إقبال محمد العرفج، النادي الأدبي في الأحساء، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

[١٦] الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

[١٧] الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية، مسعد عيد العطوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

[١٨] الصورة الشعرية عند طاهر زمخشري١٣٣٢- ١٤٠٧هـ، دراسة موضوعية فنية، فاطمة بنت مستور قنيع المسعودي، نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٢٤هـ.

[١٩] ظاهرة الاغتراب في تراثنا الشعري، مقال بقلم د.حسن فتح الباب، مجلة الحرس الوطني- المملكة العربية السعودية، العدد (١٧٨).

[٢٠] فكرة الاغتراب في الفكر العربي، سحبان خليفات، مجلة أفكار، العدد (٢٤)، ١٩٧٤م.

[٢١] في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، عبدالله الحامد العلي الحامد، دار الكتاب السعودي، ط٢، ١٤٠٦- ١٩٨٦م.

[٢٢] في الشعر السعودي المعاصر، فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، ط١، ١٩٩٠م.

[٢٣] لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي- بمؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

[٢٤] مجموعة النيل، طاهر زمخشري، مطبوعات تهامة، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

[٢٥] مظاهر في شعر طاهر زمخشري، د.عبد الله أحمد باقازي، منشورات دار الفيصل الثقافية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

[٢٦] نظرات في الأدب السعودي الحديث، راضي صدّوق، دار طويق للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٤هـ.

Alienation the poetry of the Saudi poet Taher Zmakhshri Diwana (The Return of the Stranger) and (Expatriate Compositions) as an example

Dr.. Mona Bint Saleh Al – Rashadah

Professor of literature and criticism Imam Abdul rahman bin Faisal University
Professor of Thanaa Ayyash at the Hashemite University

Abstract: This research deals with the study and analysis of the phenomenon of Alienation as stated in the poetry of the Saudi poet Taher Zmakhshri, whose life witnessed events led later to his Spatial ,temporal and psychological migration.
This research will attempt to explain the impact of the reflection of these emotions and feelings in the two collections of poems, "Strange return" and "Expatriate tunes", trying to answer the following questions:
What are the reasons that lead to expatriation?
What alternatives does the expatriate employ to restore balance in his life, after being dominated by a sense of hopelessness of improved conditions?
How can poetry be a haven for expatriate?
The reason we chose these two collections of poems is that their titles include the terms expatriation and alienation together, which means that this phenomenon is clearly visible in his poetry. In addition, the introduction of his collections of poems, "Strange return" included a discussion of some of the reasons that led to his alienation, as will be seen in this research.

In order to achieve the objectives of this research, we relied on the poetic texts directly, and reading them well, to draw the reasons for the alienation of the poet, and to show the manifestations of his alienation, relying on descriptive analytical approach to describe the phenomenon of alienation as it appeared in his poetry, and analysis of the applicable models of each manifestation of his alienation.
The alienation of the poet appeared when he escaped to the past sometimes and imagination and the jungle at other times; hoping to compensate for what is missing in the present of joy and hope.
Keywords : Expatriation, migration, poetry, psychological compensation .